مصححٌ لُغوي

لم يخجلْ (أحمد سنية) من كنيتهِ التي اكتسبها منذ الصغر! بل كانت له مصدر فخرٍ، أصدقاؤهُ يحبذون مناداتهِ؛ فالحاجة سنية -جدة أحمد- تغدق عليهم بأنواع الحلوى، لا يخلو جيبها من بيض الحمام (كرات السكر الملفوفة حول حبة بندقٍ وذات ألوان جذابة). أو الزبيب الجاف. أحمد حفيدها الأول من ابنها الوحيد إسماعيل، بتحيطهُ برعايةٍ وحبٍّ قلَّ نظيرها، تفترش باب الدار، وهي تراقبهُ وهو يلعب لا يغيبُ عن نظرها. كانت تحلم أن يصبح أحمد أستاذاً للّغةِ العربيةِ، كالأستاذ الفقيه حميد، جارها الذي يخصها بتحية الإسلام كلما مرَّ من أمام بابهم (السلام عليكم). دون باقي الناس الذين يمسون ويصبحون، وكانت تعتقد أنه تقيٌّ كونهُ يحيها بتحية الإسلام... أما أحمد فكان هو وأصدقاؤه مبهورين بالسيد عباس أفندي، موظف في بلدية مدينة خانقين، في المساء كان

يفترش بجوار جدته، لتحكي له حكاية فرهاد والأميرة شرين. تبدأ الحكاية بالصلاة على خاتم الأنبياء (ص)، للأميرة شيرين عينان زرقاوتان كالبحر الذي وراء الجبال؛ عندما كان فرهاد يحفر أخدوداً في الجبل؛ احتجزت العجوز الشريرة نكاد صغار الحيوانات والأطفال الرضع في غرفة صغيرة؛ كي تعلوا صرخاتهم لتذهبَ بغناء شيرين سُداً وهي تحاول أن تشّد من عزيمة فرهاد. قبل أن يغفو يسأل جدته؟ هل لشيرين ابنة... تضحك الجدة، ربما ولكنها بالتأكيد تسكن بعيداً خلف الجبال. كان أحمد باراً بجدته مطيعاً لها، محظوظاً فأمه رغم أنها أمية لكنها لم تظهر غيرتها أبداً تجاه هذي العلاقة، عكست تلك الرابطة على علاقتها بزوجها الذي ازداد حباً واحتراماً لها، اهتمّت بأسرتها وأطفالها الباقين. لم يفلحْ أحمد في دراستهِ، وعمل في دكان والده يبيع أجود أنواع البهارات في المدينة إضافةً إلى الحناء ومواد أخرى. تزوج أحمد من شيرين؟ شيرين كانت تلميذة معه في المدرسة تلقي

القصائد بصوتٍ جميلٍ خلال تحية العلم، أكملت الدراسة المتوسطة ثم حصلت على وظيفة في إحدى المدارس بصفة كاتبة، أنجبت أولادها الثلاثة خلال خمس سنوات. تبادل أحمد وجدته الأدوار، يحكي لها أحداث يومه، زبائنه من المعلمين وخطيب الجامع وأصدقاء الطفولة الذين يحملونه أجمل عبارات السلام للجدة الطيبة، يشعُ بريقٌ من عينيها الصغيرتين اللتين اكتسحتها التجاعيد. وقبل أن تغفو تسأل عن الفقيه حميد. لماذا توفي بالجلطة القلبية؟ كان قلبه عامراً بالإيمان، لتغط في نومٍ عميقٍ. يعود أحمد لزوجتهِ كي يغفو بين ذراعيها. وسّع أحمد دكانه، وتوسعت تجارته، يذهب بنفسه إلى بغداد وبالتحديد سوق الشورجة الكبير ليختار بضاعته، في سفرته الأخيرة وقع أحمد بيد جماعةٍ متشددةٍ امتهنت الخطف والقتل في أبشع الفترات التي مرَ بها العراق، ما بين الفترة من ٢٠٠٤و٢٠٠٩. قُيّدَ أحمد ومن معه في سيارة الأجرة التي خرجت بهم من مدينتهم في يومٍ

مشؤومٍ نحو حتفهم. وعبر التحقيق معهم لم ينهَر أحمد وكان صامداً، أكّد لهم أنَّ ذويه باستطاعتهم فديته بـ (ثلاثة دفاتر)30ألف دولار. حاول أن يطمئن من حوله صلى صلاة قيام الليل وناشد ربه لم ينم منذ ثلاثة أيام غطَّ في نومٍ عميقٍ، في صباح اليوم التالي فتح أخرق الباب، هيّا انهضوا الزعيم يريد أن يراكم، ربت أحدهم على كتف أحمد قائلاً: أحمد سنية انهض. زعيم الجامعة يريد لقاءنا. حفظ ذلك الأخرق الاسم وأسرع ليُخبر سيده بما سمع، أمام أحدهم وقف أحمد وكأنه مجرم عتيد، سأله عن اسمه، ذكر أحمد اسمه وشهرته، لكي يستدلوا على أهله، أحدهم:

- إذاً تعترف أنك سُنيّ؟

- أحمد: لا هذا لقبي إنّه اسمُ جدتي الحاجة سنية، علت قهقهتهم بعدما سمعوا ما قاله أحمد ونالوا من الحاجة سنية، وهذه أول مرة ينالُ فيها أحد من تلك المرأة، اغرورقت عيناه، لم يعرف ماذا يفعل بل ظل

صامتاً. طلب منه أحدهم أن يكتب اسم شهرته، كتب أحمد سَنية... بفتح السين، ضمن الواقفين شخصٌ يدعي أنه أكمل الجامعة تعتبرهُ الجماعة شخصاً لغوياً. استفسروا منه، استفتى بأن الفتحة لا تكتب إلا على الفعل الماضي، وأن أحمد مراوغٌ وهذا لقب مذهبه ويبدوا أنه يعتزُ بمذهبهِ لدرجةِ أنّه يُكنى به، وسنية تكتب بضم السين. لم تنقذ الثلاثين ألف دولار حياة أحمد التي اجتهدت العائلة في جمعها، وقبل أن يصل جثمانه إلى المدينة، توقف قلب الحاجة سنية، بعدما عرفت أن حفيدها لن يدخل من باب غرفتها مجدداً.

****